﴿۞وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣٠﴾ [النحل: 30]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

ذكـــــر مـــآل السّعداء إثر ذكر مآل الأشقياء

لما سبق بيان أحوال الأقوام المستكبرين الذين إذا قيل لهم ماذا أنزل ربّكم؟ قالوا: أساطير الأولين، كما صرَّحت به آية سابقة هي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤﴾ [النحل: 24] ثم ذُكر أنّهم يحملون أوزارهم ومِن أوزار أتباعهم، وذُكر أنّ الملائكة تتوفاهم ظالمي أنفسهم، وذُكر أنّهم في الآخرة يلقون السلم، وذُكر أنه تعالى يقول لهم ادخلوا أبواب جهنم، أُتْبِعَ بذكر وصف المؤمنين الذين إذا قيل لهم: ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ﴾؟ ﴿قَالُواْ خَيۡرٗاۗ﴾ وذِكرِ ما أُعِدَّ لهم في الدنيا والآخرة من منازل الخيرات ودرجات السعادات، ليكون وعد هؤلاء مذكورًا مع وعيد أولئك[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿خَيۡرٗاۗ﴾: أصلُ (خير): العَطْفُ والمَيْلُ، ثُمَّ يُحْمَلُ عليه[2] غيره من المعاني، والخير: اسمُ تفضيلٍ، أصلُهُ: أخير، وحُذِفَتْ همزتُهُ على خِلاف القياس؛ لكَثرة استعماله، أو مصدر من خارَ، يَخِيرُ، أو صِفة مُشبَّهة، تخفيف خيِّرٍ، فالخَيْرُ: خلافُ الشَّرِّ؛ لأنَّ كُلَّ أحَدٍ يَميلُ إليهِ ويَعْطِفُ على صاحِبِهِ، ومنه تقولُ: خِرْتَ يا رَجُلُ، فأنتَ خائِرٌ، وخارَ اللّهُ لَكَ[3]، أي: أعطاكَ ما هو خَير لكَ، ويُطلَقُ على معانٍ كثيرةٍ،

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 201.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خير).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (خير).

منها: المالُ، يُقالُ: فُلانٌ ذو خيرٍ وبخيرٍ، أي: ذو مالٍ، وجمعُهُ: خُيورٌ[1]، والمرادُ بـ ﴿خَيۡرًا﴾ في الآية: لفظٌ شاملٌ لكلِّ خيرٍ في الدُّنيا وكلّ خيرٍ في الآخرَةِ[2].

2) ﴿أَحۡسَنُواْ﴾: الإحْسانُ: الإتْيانُ بِما هو حَسَنٌ، يُقال: أحْسَنَ فُلانٌ، يُحْسِنُ، إحسانًا، أي: أتَى بِشَيْءٍ حَسَنٍ، والحَسَنُ: الجَيِّدُ، وضِدُّهُ: القَبيحُ والسَّيِّء، ويأتي الإحسانُ بِمعنى الإتْقانِ والإجادَةِ، والمُحْسِنُ: المُتْقِنُ المُجيدُ لِعَمَلِهِ، ومِن مَعانيه أيضًا: الإخْلاصُ، والإحْكامُ[3]، والمقصود بالإحسان في الآية: العَمَلُ الصّالِحُ، والمراد بقوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾: المُتَّقونَ[4].

3) ﴿وَلَدَارُ﴾: أصل الدّور: الإحداق والإحاطة بالشَّيء، والدّار هي المَنْزِلُ، وسُمِّيت دارًا لدَوران أهلها بها، أو لدَورانها هي على أهلها وإحاطتها بهم، وتُطلَق ويُراد بها البلَد والضِّيَع والدُّنيا كلها[5].

4) ﴿ٱلۡمُتَّقِينَ﴾: أصْلُ (وقى): كلمةٌ واحِدَةٌ تَدُلُّ على دَفْعِ شَيْءٍ عَنْ شَيْءٍ بِغَيْرِهِ، يُقالُ: وقَى نَفْسَهُ مِن العَدوِّ بِسِلاحِهِ، أي: دَفَعَهُ بِهِ، والوِقايَةُ: ما يَقِي الشَّيءَ، واتَّقِ اللّه: تَوَقَّهُ، أي: اجْعَلْ بَيْنَكَ وبَيْنَهُ كالوِقايَةِ، والمتَّقي: المفرط في الصِّيانة[6]، والتَّقْوَى: اتِّخاذُ الوِقايَةِ والحِمايَةِ مِن الشَّيْءِ، والتَّوَقِّي: الحَذَرُ، وتأْتي الوِقايَةُ بِمعنى الحِفْظِ مِن الأذَى والضَّرَرِ[7]، والمقصود بالمتَّقين في الآية: الَّذين يتحرّزون مِن المهالك في الدُّنيا، والمراد بدار المتقين هنا: الدّار الآخرة، وهي الجنَّة.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يقول تعالى: وقيلَ للمُتَّقين: ماذا أنزَلَ ربُّكم مِن الوَحي على نَبيِّه مُحمَّدٍ ﷺ؟ قالوا: أنزَلَ اللّهُ خَيرًا عَظيمًا في الدُّنيا والآخِرةِ - وهو القُرآنُ - رَحمةً وهُدًى وبَرَكةً لِمَن آمنَ به واتَّبَعَه، وللمُؤمِنينَ الذين أحسَنوا في عِبادةِ اللّهِ، وأحسَنوا إلى عِبادِ اللّهِ، ثوابٌ حَسَنٌ

(1) ابن منظور، لسان العرب، والسّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ، والزبيدي، تاج العروس: (خير).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 141.
(3) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن سيده، المحكم، والفيروزابادي، القاموس المحيط، وابن منظور، لسان العرب: (حسن).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 142.
(5) الجوهري، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (دور).
(6) السّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (وقى).
(7) السّمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (وقى)، والمناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص: 340.

عاجِلٌ في الدُّنيا؛ ممثَّلٌ في الحياةِ الطَّيِّبةِ والرِّزقِ الحسَنِ، وحُصولِ السُّرورِ، وتحَقُّقِ السَّعادةِ، ولَجزاءُ المُؤمنينَ في الدّارِ الآخرةِ في الجنَّةِ خَيرٌ لهم مِن الجزاءِ المُعَجَّلِ لهم في دارِ الدُّنيا، ولَنِعْمَ دارُ المُتَّقينَ - الذين يَمتَثِلونَ أوامِرَ اللهِ، ويَجتَنِبونَ نواهيَه - الجنةُ في الآخرةِ[1].

الَّذين اتقوا ربَّهم، عرفوا طريقهم إلى الله، واهتدوا إلى مواقع الهدى

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة العطف بالواو في السّياق:

الواو هنا للعطف بين المتقابلين وهما: حالُ الكافرين المستكبرين وجزاؤهم، ثم حالُ المتقّين الطائعين وجزاؤهم، فالعطف على الجمل السابقة عليها[2].

بديع تنظير حال سيئات الكافرين، بحال حسنات المؤمنين:

شتّان بين المنكر المتكبّر، والمؤمن الموقن

جاء التّنظير بين الحالين في نسق بديع عن طريق المقابلة بين جوابين مختلفين عن سؤال واحد هو: ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ﴾ فأجاب المستكبرون بقولهم: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [النحل: 24] وأجاب المتقون بقولهم: ﴿خَيْرًاۗ﴾، أي: أنزل خيرًا، ثمَّ المقابلة بينهما حاصلة فيما هو أعمّ مِن هذا وأشمل، فقابل بين حالين وسلوكين وجزاءين كلّ منهما يُناقض الآخر ويُعاكسه، وذاكم هو شأن المستكبرين ولبئس ما هم، في مقابلة المتقين ولنعم ما هم[3].

دلالة العدول عن اقتران الآية بأداة الشّرط:

لم تقترن الآية بالشّرط؛ للمفارقة بين حالي المستكبرين والمتّقين

بالموازنة بين هذه الآية: ﴿*وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ قَالُواْ خَيْرًاۗ﴾، ومقابلتها السّابقة في نفس السّورة، وهي قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [النحل: 24] يُلحَظ الفرق

(1) ابن جرير، جامع البيان: 14/ 210، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/ 568، والسعدي، ص: 439، والشّنقيطي، أضواء البيان: 2/ 371.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 141.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 141.

بينهما من حيث إنّها سيقت مساق الإخبار ﴿*وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ ولم تقترن بالشَّرط في مستهلّها، كما اقترنت به الآية الأخرى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم﴾ [النحل: 24] وذلك "لأنَّ قولهم: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤﴾ [النحل: 24] لما كان كذبًا اختلقوه؛ كان مظنّة أن يُقلع عنه قائله، وأن يرعَوِي إلى الحق، وأن لا يُجمِع عليه القائلون، قرن بأداة الشرط المقتضية تكرّر ذلك للدّلالة على إصرارهم على الكفر، بخلاف ما هنا فإنّ الصدق مظنّة استمرار قائله عليه، فليس بحاجة إلى التّنبيه على تكرره منه[1]، ويجوز أن يعود السّبب إلى قصدية السؤال وعدم قصديته، فلما كان السّؤال منويًّا مع المتّقين ومقصودًا لم يتقدمه الشرط، ولما كان السّؤال للمشركين عرضيًّا استهل بالشرط المسلط تحقيقه بـ ﴿وَإِذَا﴾ على الجواب، وهو قولهم: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤﴾ [النحل: 24] لا على القول[2].

سرّ بناء فعل القول للمفعول:

العناية منصبّة على القول لا القائل

في بناء الفعل ﴿وَقِيلَ﴾ للمفعول، وليس الفاعل دلالة على أنّ الأهميّةَ منصرفةٌ إلى ما قيل، وليس إلى مَن قال، لينتقل الاهتمام بعد ذلك إلى الجواب، إثر ترقبه بالسّؤال.

دلالة اللّام في سياق الآية الكريمة:

لازموا التقوى حتى اختصّوا بها

اللّام في قوله ﴿لِلَّذِينَ﴾ هي لام الاختصاص، وتسمّى لام الاستحقاق؛ فالقول موجّه للمختصّين بالتّقوى المستحقّين له.

علّة التّعبير بالموصول دون الصّفة (المتّقين):

استحقّوا المدح وحسن الجزاء، لحميد خصالهم

عبّر عنهم بالاسم الموصول مدحًا لهم، ولفتًا إلى ما تضمّنته الصّلة مِن صفات كانت المسوِّغ لمدحهم ولفوزهم بحسنة الدّنيا وخير الآخرة، والموصول (الذين) للعهد والمراد به، المؤمنون المعهودون في مكة[3].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 141.
(2) المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 2/ 189.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 141.

دلالة جمع المتّقين على صيغة التّفعّل:

تأصّل التّقوى فيهم، هو سرّ حسن سيرتهم

في التّعبير بـ ﴿ٱتَّقَوْا۟﴾ دلالة على تكرر التقوى منهم، وتأصلها فيهم، وأنهم يحافظون عليها في كلّ موقف يستدعيها، لما تفيده صيغة التفعُّل مِنَ التَكرار والارتقاء في نفس الصِّفة، على ما مرَّ ذكره في التَّكبُّر.

إيثار الفعل ﴿ٱتَّقَوْا۟﴾ على الفعل (آمنوا):

التقوى تستلزم حصول الإيمان وليس العكس

أوثر التّعبير بالفعل ﴿ٱتَّقَوْا۟﴾ على الفعل: (آمنوا)، لأنّ التّقوى تستلزم الإيمان في أعلى مراتبه وأسمى درجاته، وليس العكس[1]، فالإيمان لا يستلزم التحقّق بكامل التقوى.

سرّ حذف مفعول ﴿ٱتَّقَوْا۟﴾:

المتّقي الله تعالى في الصّغائر والكبائر

حذف مفعول ﴿ٱتَّقَوْا۟﴾ اختصارًا للعلم به، والمعنى اتّقوا ربّهم، فضلًا عمّا يتضمّنه الحذف منَ الاتّساع في صور تقوى ربّهم ودلالاتها في الصّغائر والكبائر.

بلاغة الاستفهام بـ ﴿مَاذَآ﴾:

المُنْزَلُ مَظِنّة التّشريف والتّفخيم

في الاستفهام بـ ﴿مَاذَآ﴾ تفخيم للمستفهَم عنه؛ لأنّ الاستفهام بها أقوى منَ الاستفهام بـ (ما) لكونها نصًّا في الدّلالة على الاستفهام[2]، بخلاف (ما) فإنها تتردّد بين معان مختلفة كالموصول والمصدريّة، فضلًا عن الاستفهام، أي: أنّها غير ممحّضة للاستفهام كـ ﴿مَاذَآ﴾.

إيثار الفعل ﴿أَنزَلَ﴾ دون (نزّل):

السّؤال عن ماهيّة المُنزّل لا كيفيّة نزوله

أوثر التّعبير بـ ﴿أَنزَلَ﴾ دون (نزّل)؛ لأن المراد: جملةُ المنزّل بكلّيّته المفهوم من ﴿أَنزَلَ﴾، وليس كيفية التّنزيل وكثرته وتدرّج نزوله الّذي يدلّ عليه (نزّل)، فالسؤال عن ماهيّة المُنزّل لا كيفيّة نزوله.

(1) المطعني، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 2/ 189.
(2) السّامرائي، معاني النّحو: 4/ 464.

إيثار لفظ ﴿رَبُّكُمْ﴾ ونسبته إلى المتّقين:

المقام مقام تربيَة وإنعام وتشريف

أوثر التَّعبير باسم الرّبّ في قوله ﴿أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾ ولم يقل (أنزل الله) لما أنّ المقام مقام إنعام على المؤمنين وتربية لهم وإكرام، كما أشار سبحانه إلى كون القرآن كذلك، في قوله: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: 82]، وقوله: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: 44]، وفي إضافة اسم الرّبّ إلى ضمير المتّقين تشريف لهم، وتنبيه إلى كونهم معترفين بنعمة الله عليهم في إنزال القرآن.

بلاغة الفصل بفعل القول مجموعًا:

اجتماعهم على الإجابة، دليل وحدة أفعالهم، وانقيادهم لله تعالى

علّة الفصل في قوله: ﴿قَالُواْ خَيْرًا﴾ هو وقوعه جوابًا عن سؤال مقدر، فكأنّه قيل: فماذا قالوا بعد أن سُئلوا: ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾؟ فكان الجواب: ﴿قَالُواْ خَيْرًا﴾.

وفي التَّعبير بقوله: ﴿قَالُواْ﴾ أي: جميعًا دلالة على عدم تردّدهم في الجواب؛ إذ أطبقوا جميعًا عليه لم يتخلَّف منهم واحد في الرَّدِّ به وعلى وجه السُّرعة؛ لأنّه بالنّسبة لهم جواب واحد لا تردّد فيه، وهو ممّا لا يحتاج إلى تفكير؛ لأنّ فعلهم واحد، أجمعَهُم عليه صدقُهم، ونقاؤهم، وصفاء سرائرهم، وانقيادهم للباري سبحانه رَغَبًا، ورَهَبًا، وطاعَةً.

بديع التَّعبير عن خيريّتهم بمصدر منكّر:

إفادة تعظيم المُنزَّل، وإفادة عمومه

في تنكير لفظ ﴿خَيْرًا﴾ لإفادة تعظيم المُنزَّل، وإفادة عمومه، ليشمل السّنة كذلك، فكلّ ما جاء به النّبي ﷺ من أحكام وشرع، فيه خير البشريّة وصلاحها، وليشمل كلّ خير أنزله الله في الدّنيا والآخرة[1].

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 8/ 4166، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 141.

علّة نصب ﴿خَيۡرٗاۗ﴾ هنا، ورفع ﴿أَسَٰطِيرُ﴾:

الكافر المُتكبّر جاحد، والمتّقي على يقين

ممّا يلفت الانتباه المفارقة بين هذه الآية ومقابلتها من سورة النّحل إذ قال فيها: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤﴾ [النحل: 24] برفع مقول القول ﴿أَسَٰطِيرُ﴾ [النحل: 24]، في حين نصب ﴿خَيۡرٗاۗ﴾ هنا بقوله: ﴿قَالُواْ خَيۡرٗاۗ﴾، فما علة رفع الأول ونصب هذا؟

والجواب لصاحب الكشاف في قوله: "فإن قلت: لم نصب هذا ورفع الأول؟ قلت: فصلًا بين جواب المقرّ وجواب الجاحد، يعنى أن هؤلاء – المتقين – لما سئلوا لم يتلعثموا، وأطبقوا الجواب على السؤال بيِّنا مكشوفًا مفعولًا للإنزال، فقالوا ﴿خَيۡرٗاۗ﴾ أي: أنزل خيرًا، وأولئك عدَلوا بالجواب عنِ السُّؤال فقالوا: هو ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤﴾ [النحل: 24]، وليس مِنَ الإنزال في شيء"[1].

أي: أنّه لو جاء منصوبًا هكذا (أساطيرَ) لكان منصوبًا على تقدير: (أنزل أساطيرَ) وهم لا يريدون أن يجعلوا بينه وبين الإنزال صلةً ما، ولو كان المنزَّل منعوتًا بـ (أساطير الأولين)، فكان جواب المستكبر ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤﴾ مخالفًا للسؤال ومطابقًا لما يقتضيه حاله، ولو أنَّه أجاب بالنَّصب لكان موافقًا للسائل في الاعتراف بكون أصل النزول مسلَّمًا عنده، ولكان مناقضًا لنفسه في توصيف ما اعترف بكونه منزَّلًا من ربِّه بأنَّه أساطير[2].

ومن الفروق بين التَّعبيرين في الآيتين، أنّ النّصب في قوله ﴿خَيۡرٗاۗ﴾ مبني على كونه معمولًا لفعل محذوف تقديره: أنزل، وهذا هو اللائق بالحال أن يحمل السّؤال على الجملة الفعليّة، وأن يكون الجواب ﴿خَيۡرٗاۗ﴾ بالنّصب "فلو أجاب بالرّفع وقال: (المنزل خير) لكان موافقًا للسائل في الاعتراف بأصل النّزول، إلا أنّه يكون متلعثمًا

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 603.
(2) شيخ زاده، حاشية زاده على البيضاوي: 5/ 267.

في الجواب بتغييره أسلوب السّائل، فإنَّه سأل بالجملة الفعليَّة طالبًا لتعيين المفعول، وهو قد أجاب بتحقيق كون المنزل خيرًا[1]، وهذا بخلاف جواب المستكبرين: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [النحل: 24] بالرّفع بملحظ اسميّة الجملة أي: هو ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [النحل: 24] "فإنّه على زعمهم الفاسد أمر متقدّم ثابت، فلذا غاير بينهما"[2].

بلاغة الإيجاز بالحذف:

لفظ ﴿خَيْرًا﴾ في قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ خَيْرًا﴾ منصوب بفعل محذوف تقديره: أنزل، وحُذف إيجازًا للعلم به، لدلالة قوله: ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾ عليه.

بلاغة الفصل في جملة ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾:

ورد قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ على وجه الجواب لسؤال مَن كأنّه قال: ما لهم على ذلك؟ فقيل مُظهِرًا موضع الإضمار مدحًا لهم وتعميمًا لمن اتّصف بوصفهم: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ فبيّن أن اعترافهم بذلك إحسان؛ ثم أخبر عنه بقوله: ﴿فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ أي: جزاء لهم على إحسانهم ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرّحمن: 60][3]، ويجوز أن تكون الجملة مفسّرة لقوله ﴿خَيْرًا﴾[4] وحينئذٍ يكون بينها وبين سابقتها (كمال الاتصال).

جـزاءُ الإحسـانِ الإحسانُ

دلالة اللّام في قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾:

اللّام في قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ للاختصاص، والاستحقاق، فالإحسان صنيعهم، دأبوا عليه، واختصّوا به، حتى عُرفوا به، واشتهروا.

(1) شيخ زاده، حاشية زاده على البيضاوي: 5/ 267.
(2) الشّهاب الخفاجي، عناية القاضي: 5/ 327.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 11/ 147، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 353.
(4) الشّهاب الخفاجي، عناية القاضي: 5/ 327، والدّرويش، إعراب القرآن وبيانه: 5/ 294.

وجه التّعبير بالموصول (الَّذِينَ):

عـبَّر بالموصول مدحًا وبيانًا لعلّة الحكم

الموصول وصلته ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾ مراد به المتّقون، فهو من الإظهار في مقام الإضمار - فلم يقل (لهم) وعدل إلى الإظهار فقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾ توصّلًا بالإتيان بالموصول إلى الإيماء إلى وجه بناء الخبر، أي: جزاؤهم حسنة لأنّهم أحسنوا[1]، وذلك أنّ الموصول وصِلته أظهرا أنّ المتقين قد نالوا ما وعدهم الله به من حسنة الدّنيا ثمَّ خير الآخرة؛ لكونهم كانوا محسنين، وليس جزاء الإحسان إلا الإحسان، ومَن أحسنُ مِنَ الله جزاءً للمحسنين؟

سرُّ التّعبيرِ عن الإحسان بالماضي:

الإحسان سجيةٌ فيهم، وأظهروه عملًا

عبّر في صِلة الموصول ﴿أَحۡسَنُواْ﴾ بالفعل الماضي، للدّلالة على تحقّق فعل الإحسان فيهم سجيّةً، وعملًا، وتكرّر هذا الإحسان منهم حتّى صار أصيلًا فيهم.

نكتة تعدية الإحسان بالهمزة:

الإحسان ما يتعدّى أثره إلى الآخرين

الفعل (حسُن) لازمًا هو الأصل، فلما أريد به تعدّي أثره إلى الغير؛ دخلته همزة التّعدية (أحسَنَ)، ومصدره (إحسانًا)، ويُطلق الإحسان على كلّ ما بلغ الغاية في الحُسن مِن أعمال القلوب والجوارح في المعاملة مع الله، ومعاملة النّاس لأجل الله؛ حتّى ورد تعريفه في السُّنَّة المشرَّفة تعريفًا خاصًّا في حديث جبريل عليه السلام، بقول الرسول ﷺ: قالَ: ما الإحْسانُ؟ قالَ: "أنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأنَّكَ تَراهُ، فإنْ لَم تَكُنْ تَراهُ فإنَّهُ يَراكَ"[2].

دلالة الحرف ﴿فِي﴾ في سياق الآية الكريمة:

يوم القيامة ميعاد الجزاء الأوفى

جاء حرف الجرِّ ﴿فِي﴾ في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا﴾ دالًّا على الظّرفيّة؛ لأنَّ الدّنيا هي دار العمل، فينبغي على

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 142.

(2) صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب: سؤال جبريل النّبي ﷺ: 1/ 19.

العبد أن يجعلها دار إحسان، ليكافَأ بالإحسان يوم القيامة ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ۝٦٠﴾ [الرحمن: 60].

دلالة اسم الإشارة ﴿هَٰذِهِ﴾:

عبّر عن قرب منزلة الدّنيا وقرب زوالها، وعرّض بالمُغرقين في حبّها

الإشارة باسم الإشارة المسبوق بحرف التنبيه ﴿هَٰذِهِ﴾ الدّالّ على القرب إلى ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾ للتعبير عن قرب منزلتها ودنوّها، وأيضًا قرب زوالها وانتهائها، فطوبى لمَن فهم حقيقتها وجعلها قنطرة ومعبرًا للدّار الآخرة، ويُلمحُ في الإشارة أيضًا تحقير الدّنيا في عين كلّ مَن يراها أساسًا لتعامله وكأنّها دار قرار، فلا يُراقب الله في أعماله فيها، ولا يتّخذ منها دار بناء وإحسان يحصد آثاره في الدّار الآخرة، فكانت الإشارة إليها بـ ﴿هَٰذِهِ﴾ التي يُشار بها إلى القريب؛ لاستحضارها بغرض تهوينها وتحقيرها في عين معظّميها، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ﴾ [العنكبوت: 64] فلعلّ في تهوينها ما يبعث على الوقوف على حقيقة أمرها، فيرعَوي المغرق في تعظيمها ويثوب إلى رشاده.

وفي هذه الإشارة كذلك تعريض بالمستكبرين الّذين لم يستغلوا قصر أجَلِ الدّنيا في الأعمال الّتي تضمن لهم السّعادة الأبديّة، وتنبيه لهم وإرشاد إلى الاقتداء بالمتّقين الّذين أحسنوا في هذه الدّنيا الفانية، طمعًا في نعيم الباقية.

نكتة توسيط ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا﴾:

تكثير المعاني الّتي يسمح بها النّظم، مع وجازته

توسيط قوله: ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا﴾ بين قوله: ﴿أَحۡسَنُواْ﴾ وقوله: ﴿حَسَنَةٞۚ﴾ نظم اختصّ به القرآن في مواقع الكلم، لإكثار المعاني التي يسمح بها النظم، وهذا من طرق إعجاز القرآن، فيجوز أن يكون قوله: ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا﴾ حالًا مِن ﴿حَسَنَةٞۚ﴾ قُدِّم على صاحب الحال للتّنبيه مِن أوّل الكلام على أنّها جزاؤهم في الدّنيا، لقلّة خطور ذلك

في بالهم،؛ إذ ضمن الله تعالى لهم تعجيل الجزاء الحسن في الدّنيا قبل ثواب الآخرة على نحو ما أثنى على مَن يقول: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ﴾ [البقرة: 201][1].

وجه التَّعبير بالحسنة وإفرادها:

المُـرادُ الحسنةُ المضاعفة الّتي في الدّنيا

الحسنةُ المذكورة في قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞ﴾ هي جزاؤهم في الدّنيا؛ لأنّ جزاء الآخرة قد ذُكر بعدها في قوله سبحانه: ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ﴾ فكان لا مفرّ مِن قصر الحسنة المذكورة على كونها في الدّنيا.

وفي التَّعبير بها مفردة على إرادة الجنس، فتصدقُ بـ (الثواب العظيم) متعدّد المظاهر والوجوه، أو أن يكون المراد بها الحسنة المضاعفة التي "يُضاعف ثوابها بعشر مرات وبسبعمائة وإلى ما لا نهاية له"[2].

بلاغة الجناس الاشتقاقيّ بين ﴿أَحۡسَنُواْ﴾ و﴿حَسَنَةٞ﴾:

أحدثَ الجناسُ ميلًا نحو الإصغاء، وحسَّنَ التّعبير

بين قوله: ﴿أَحۡسَنُواْ﴾ وقوله ﴿حَسَنَةٞ﴾ جناس الاشتقاق، أو ما يُعرف بجناس الاقتضاب أو المقتضب[3]، وذلك أنَّ اللَّفظتين ﴿أَحۡسَنُواْ﴾ و﴿حَسَنَةٞ﴾ تعودان إلى أصل واحد، وإن تغاير معناهما، فكلمة ﴿أَحۡسَنُواْ﴾ أي بأفعالهم الحسنة، وكلمة ﴿حَسَنَةٞ﴾ هي جزاؤهم على إحسانهم، وقد أحْدَثَ هذا الجناسُ ميلًا للنَّفس نحو التشوّقِ والإصغاء، وأكسبَ التّعْبير جمالًا وحسنًا، بحلو النغمة، واتّحاد الجَرْسِ، وتناسُقِ الإيقاع.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 354.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 201.
(3) تجنيس الاشتقاق هو أن يجتمع اللفظان في أصل الاشتقاق مع تغاير المعنى ويسمى أيضًا "المقتضب" كقوله تعالى: ﴿فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ﴾ [الواقعة: 89] وقوله: ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ﴾ [الأنعام: 79]. يُنظر: أحمد الخطيب، مفاتيح التفسير: 1/ 427.

بلاغة الطّباق بين ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾ و﴿ٱلۡأٓخِرَةِ﴾:

الجمع بين أجري الدّنيا والآخرة مِن تمام الإيفاء بالأجر

ومِن البديع اللّفظي المقابلة بالتّضادّ بين لفظي ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾ و﴿ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ﴾، ولما كان الغرض مِنَ الآية الجمع بين أجري الدنيا والآخرة دلالة على توفية الجزاء وتمامه؛كان التّعبير عن ذلك - على طريق الطباق بالالتئام بين الضدّين - أوقع في النّفس لقرب تخاطرهما إلى الأذهان واستدعائهما في الأفكار.

دلالة الواو في قوله: ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ﴾:

استأنفَ بيانيًّا جوابًا عن سؤالٍ مُقدّر

الواو في قوله: ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ﴾ استئنافية[1]، والجملة بعدها مستأنفة استئنافًا بيانيًّا، لكونها جوابًا عن سؤال مقدر، تقديره: وهل لهم من جزاء آخر في الآخرة بعد حسنة الدّنيا؟ فكان الجواب: ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ﴾ أي: ولثواب (دار الآخرة خير) فالكلام على حذف مضاف[2].

دلالة التّوكيد باللّام، في ثنايا الكلام:

جزاء الآخرة خير من جزاء الدّنيا، وما فيها من غالٍ ونفيس

اللّام في قوله: ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ﴾ قيل: هي الموطئة للقسم، وقيل: هي لام الابتداء[3]، وعلى كلا التّوجيهين، فهي مؤكّدة لمضمون ما بعدها، وهو أنّ دار الآخرة وما فيها مِن نعيم موصول غير مقطوع، هو خير مِنَ الدّنيا وما فيها.

إيثار تركيب ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ دون القيامة، أو غيره:

من معهود القرآن، التّعبيرُ عن القيامة بالآخرة

في إيثار التّعبير بـ ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ دون (يوم القيامة) فيما يبدو أربعة أسباب هي مِن المعهود الغالب في القرآن:

(1) الخرّاط، المجتبى من مشكل إعراب القرآن: 2/ 576، والخطيب وآخران، التّفصيل في إعراب التّنزيل: 7/ 156.

(2) الآلوسي، روح المعاني: 7/ 372.

(3) الصّاويّ، حاشية الصّاوي على الجلالين: 2/ 288.

الأوّل: هو مناسبته لقوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ﴾ فالملاءمة مع هذا التركيب تقتضي التَّعبير بـ ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ دون (يوم القيامة)؛ لكونه أنسب للتقابل بين لفظي ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾، و﴿ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ فيظهر بينهما الطباق، ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ [البقرة: 86]، وقوله: ﴿لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١٤﴾ [البقرة: 114] فكثيرا ما ذكرت (الدنيا) مقرونة بـ (الآخرة).

الثّاني: أنّ عادة القرآن فيما تمّ رصده من آيات، هو أنّه في الحديث عن المكافأة أو المجازاة يؤثر – غالبًا – التَّعبير بالآخرة؛ فمِن المكافأة قوله تعالى: ﴿وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٥٧﴾ [يوسف: 57] وقوله: ﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧﴾ [الأعلى: 17]، ومِنَ المجازاة قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [آل عمران: 56] وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ﴾ [هود: 16]، ويظهران معًا في قوله تعالى: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ٢٠٠ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٢٠٢﴾ [البقرة: 200 - 202]، وعند قصد الكلام عنِ البعث والحساب يؤثر – غالبًا – التَّعبير بالقيامة مضافة إلى موصوفها (يوم القيامة)، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ﴾ [النساء: 87].

الثّالث: عند إرادة الحديث عن الاستقرار فإنّه يعبر بالآخرة مضافة إلى موصوفها وهو الدار، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ﴾ [يوسف: 109، النحل: 30]، أو غير مضافة كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ﴾ [الأعراف: 169].

الرّابع: عند الحديث عن الإيمان أو عدمه؛ فإنّه يؤثر التَّعبير بالآخرة وليس بالقيامة، ومنه في الإيمان بها قوله تعالى: ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤﴾ [البقرة: 4]، وفي عدم الإيمان بها قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَا ١٠﴾ [الإسراء: 10] وقوله: ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [هود: 19، يوسف: 37، فصلت: 7].

نكتة إضافة الخير إلى ذات الدّار:

أسند الخير إلى ذات الدّار في قوله: ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ﴾ والأصل فيه أنه على تقدير

عموم الخير في الدّار الآخرة، هو سرّ إضافة الخير إليها

مضاف محذوف، أي: (ثواب دار الآخرة)؛ لأنّها كلّها خير للطيبين الموعودين فلا ينالون فيها إلّا طيّبًا[1].

وجه تسمية جهنّم مثوى، والجنّة دارًا:

استعمال المثوى مع جهنّم، تحقيرٌ لأهله

يُلحظ في استعمال الكتاب العزيز أنّ كلمة ﴿مَثۡوَى﴾ لجهنم، بخلاف الجنّة فإنّه يعبّر عنها بالدّار كما هو في قوله تعالى: ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ وذلك "تحقيرًا لهم، وأنّهم ليسوا في جهنّم بمنزلة أهل الدار؛ بل هم متراصون في النّار وهم في مثوى، أي محل ثواء"[2] وقد يُطلق لفظ الدّار على جهنّم لكن مضافًا إلى صفة (البوار) أي: الهلاك، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ٢٨﴾ [إبراهيم: 28].

بيان المتشابه في ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾:

تناسب السّياق، هو سرّ التّفريق في التّعبير بين الآيات

قوله هنا في النّحل: ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ﴾ تقدّمه قوله ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ﴾، فناسب أنْ يقابلَ حسنة الدّنيا بثواب الآخرة؛ ليفضله عليه، فقال: ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ﴾ ثم أكّده بقوله ﴿وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾.

وقوله في آية الأنعام: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ﴾ [الأنعام: 32] تقدمه قوله تعالى: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ٢٩﴾ [الأنعام: 29]، فطابق هذا قوله تعالى: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ﴾ [الأنعام: 32][3].

وقوله: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ٤﴾ [الضّحى: 4] قد ورد في سياق يقتضيه، وذلك أنّه لما قال تعالى في سورة الشمس: ﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨﴾ [الشمس: 8]، ثم أتبعه في سورة الليل بقوله: ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ١٣ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ١٤﴾

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 8/ 4166.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 140.
(3) الغرناطيّ، ملاك التّأويل: 1/ 158.

[اللّيل: 12 - 14] لزم الخوف، واشتد الفزع، وتعيَّن على الموحِّد الإذعان بالتسليم والتضرّع في التخلص، والتجاؤه إلى السّميع العليم، - فلما كان ذلك - آنس الله تعالى أحبّ عباده إليه وأعظم منزلة لديه، وهو سيّدنا رسول الله ﷺ، فذكر له ما منحه من تقريبه واجتبائه، وجمع له خير الدّارين فقال: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضّحى: 1 - 5][1].

وجه تعريف لفظ ﴿ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ في السّياق:

الآخـــرة محـلّ الجزاء الأوفى، عند عالم السّر وأخفى

التّعريف بـ (أل) في الآخرة للعهد، فهي الآخرة المعهودة، التي يُحشر الخلق إليها، وتوفّى فيها الأجور، فيجازى المُؤمن ويُثاب بما وعِدَ من نعيم، ويحاسب الكافر بما وعد من عذابٍ أليم.

تكرار لفظ الخيريّة منكّرًا:

تـكـرار الـنـكـرة يعني المغايرة بـــين مـعـنـى اللّفظين

ذكر لفظ (خير) مرتين في الآية منكَّرًا، وتنكيره يدل على المغايرة، فـ ﴿خَيۡرٗا﴾ في قوله ﴿قَالُواْ خَيۡرٗا﴾ غير ﴿خَيۡرٞ﴾ في قوله ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ﴾ فالنّكرة إذا كُرّرت فالثاني غير الأول، فالأول فيما أنزله الله من خير الدنيا، والثّاني هو خير الآخرة ومقصود به التفضيل على حسنة الدّنيا، وهي الجزء الأول مِنَ الوعد الجميل الذي وعده الله تعالى للمتقين المحسنين.

دلالة الواو في قوله: ﴿وَلَنِعۡمَ﴾:

جمع بين الإخبار بـخـيـريّـة الـدّار الآخرة، ومدحها دارا للمتّقين

الواو في قوله: ﴿وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾، هي واو العطف، والجملة بعدها معطوفة على ما قبلها، فلها حكمها[2]، وجمع بها بين الإخبار بخيريّة الدّار الآخرة، وبين مدحها بوصفها دارًا للمتّقين، وبهم تحقّقت الخيريّة؛ وذلكم مبلغ التّشريف لكليهما.

(1) الغرناطيّ، البرهان في تناسب سور القرآن، ص: 365.
(2) الخطيب وآخران، التّفصيل في إعراب التنزيل: 7/ 156.

براعة المقابلة بين فعلي الذمّ، والمدح في الآيتين:

تأكيد المدح هنا، مقابل لتأكيد الذم فيما مضى

جملة المدح هنا ﴿وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ مقابِلةٌ لجملة الذَّمّ، في قوله تعالى: ﴿فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النّحل: 29] وفي المقابلة بفعلي: المدح: (نعم)، والذَّمّ: (بئس) مزيد بيان لجزاء الصنفين مِنَ النّاس في الآخرة، وفيه تشريفٌ للمتّقي المُنعَم عليه، وذمٌّ، وتخويفٌ، وتهويلٌ لجزاء المتكبّر.

توجيه التّوكيد بلام الابتداء، وبفعل المدح (نعم):

تأكيد المدح هنا مقابل لتأكيد الذّمّ فيما مضى

فائدة التأكيد باللّام في الجملة هو الاعتناء بالمدح؛ كما اعتنى مِن قبلُ بالذّمّ بدخولها أيضًا هناك في قوله: ﴿فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾، لما أنّ القوم هناك ضالون مضلّون مُستحقون للذمّ، وكذلك هنا في تأكيد المدح فالقوم مصلحون متّقون محسنون مستحقّون لتأكيد مدحهم ومدح دار جزائهم.

نكتة حذف المخصوص بالمدح:

وحذف المخصوص بالمدح، للدّلالة عليه، فإنّه مذكور قبلًا، والتقدير: ﴿وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ دار الآخرة[1].

سرّ تكرار لفظ الدّار في السّياق:

الـدّار هنا هي الـدّار السّابقة لـتـكـرار ذكـره معرفةً

تكرار لفظ الدّار معرِفةً - بالإضافة - للدّلالة على أنّها هي نفسها الدّار الّتي وعدها الذين اتّقوا وأحسنوا، فهي الدّار نفسها الموصوفة قبلًا بالخيريّة.

العدول من التّعبير عن المتقين بالموصول إلى الوصف:

التّعبير بوصف المتّقين، دلالة على رسوخهم في صفة التّقوى

عدل عن التّعبير عن المتقين بالموصوليّة في قوله: ﴿۞وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ إلى الوصف في قوله: ﴿ٱلۡمُتَّقِينَ﴾؛ لأنّه في الأولى كان القصد الإخبار عن تقواهم لله في الدّنيا، وأنّهم كانوا في سائر أعمالهم

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 110، وابن عاشور، التّحرير والتنّوير: 14/ 143.

فيها يتّقون الله، وأن هذه التقوى كانت طريقهم إلى الفوز بحسنة الدنيا وخير الآخرة، وأمّا في الثّاني وهو وصفهم بـ ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾ فللدلالة على أنهم جديرون بهذا الوصف حقيقون به حتّى استأهلوا به أن تضاف إليهم الجنة وهي دار الآخرة بتعبير ﴿دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بعد أن صاروا فيها باعتبارهم أهلها وأصحابها، وكأنهم مالكوها.

نكتة ذكر المتّقين بالإظهار دون الإضمار:

إظـهـار لفظ المتّقين للإشارة إلى كـون صفة الـتـقـوى سبب فوزهم

أظهرَ ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾، ولم يقل: (ولنعم دارهم)؛ للإشارة إلى أنّ التّقوى هي السّبب في هذا الجزاء، وللدّلالة على أنّ ثواب الآخرة خير للمتّقين، وخاصٌّ بهم دون غيرهم[1] مِنَ المستكبرين وغيرهم من أصحاب الصّفات الذّميمة، فإن قيل: لماذا خُصَّ بها المتّقون في الآية، مع أنّها تكون لغيرهم أيضًا كالأطفال والمجانين؟ فالجواب: إنّما خصّهم بالذّكر؛ لأنّهم الأصل فيها من حيث إنّ درجتهم أعلى، وغيرهم تبعٌ لهم[2].

بلاغة ردّ العجز على الصّدر في لفظ ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾:

قيمة التّقوى، كـونـهـا مـيـزان التّفاضل

في الآية بلاغة ردّ العجز على الصدر؛ لأنّ صدر الآية ذُكر فيه الذين اتقوا في قوله: ﴿*وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾، وكذلك عجزها ذكر فيه المتقون في قوله: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾، فردّ ما في آخرها على ما في أوّلها، لبيان قيمة التّقوى فعلًا وجزاء، فهي ميزان التفاضل بين الناس.

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 14/ 4167.
(2) الرازي، أنموذج جليل، ص: 123.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والعشرون،
سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والعشرون، سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 26 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-23-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 26 : المجلد السادس والعشرون، سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-23-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9758876 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»